# الإصلاحات في النظام التعليمي

## قراءة سوسيولوجية

## لقاء مع الشيخ الدكتور غلام رضا صديق أورعي*

□ **كيف تقرأون أوضاع التربية الدينية عند الناشئة والشبيبة في الوقت الراهن؟**

**الشيخ أورعي**: إذا أردنا تناول مسألة الأوضاع الدينية يجب أولاً أن نوضّح ما المقصود بالتديّن، ثم نقوم بتحديد معاييره. أحياناً يكون معيار التديّن بالمعنى الأشمل أداء المرء للواجبات، وتركه للمحرّمات. وفي أحيان أخرى نضيف معياراً آخر مثل الإيمان بالله، ومن ثم نضع تفاصيل لهذا التعريف فنقول: على المرء أن يكون ملجأه إلى الله، وأن يتقيه(وكل هذا يعني أنّ الله موجود)، أو على الأقل، إذا سُئل هل أنّ الله موجود يجيب بالإيجاب.

لو ألقينا نظرة على الدراسات المنجزة في الأعوام القليلة المنصرمة، وتأمّلنا بخلفية مسبقة في المشاهدات الميدانية في الأحياء والشوارع والاستطلاعات وردود الشبهات الموجودة في ثنايا الدراسات المتعددة، لوجدنا أنّ ما يربو على الـ٩٥ في المائة من الأفراد الذين يوصفون بالبالغين يقرّون بوجود الله. بل إنّ أحد الاستطلاعات التي أجرتها دائرة الإذاعة والتلفزيون أظهرت أنّ حوالي ٩٧ في المائة يؤمنون بهذه الحقيقة، وعلى هذا الأساس، يوصي الباحثون معدّي البرامج بعدم الحاجة إلى إعداد البرامج تتناول مسائل الإيمان بالله، والتركيز بدلاً من ذلك على التعاليم والمعارف الدينية الأخرى.

* الباحث وعضو الهيئة العلمية في جامعة الفردوسي - مشهد - إيران.

لكنّا إذا تأمّلنا هذه النقطة وتساءلنا كم هو عدد الذين مرّوا بتجارب إيمانية، مثل النذر والتوجّه إلى الله والاستعانة به وما شابه ذلك، سنجد أنّ بعض المؤمنين بالله والذين يحرصون على أداء الصلاة لم يشهدوا تجارب بهذا المعنى، ولكن تشير الدراسات إلى أنّ ٨٥ في المائة من الأفراد يحملون تجارب دينية: مثلاً تقديم النذور، الدعاء وطلب الحاجات، اليمين (اليمين المغلظة وليس الذي تعوّدت عليه الألسن). ويختلف الأمر بعض الشيء إذا نظرنا إليه من زاوية الصلاة مثلاً وتساءلنا هل تصلّي؟ أو إلى أي مدى تلتزم بأدائها في أوقاتها؟ وأسئلة أخرى من هذا القبيل من التي اعتادت الدراسات على طرحها علينا في السنوات الخمس أو الستّ الماضية، وضمن خيارات: دائماً، على الأغلب، أحياناً، نادراً وأبداً، أو الأسئلة التي تطرح على الأفراد مثل «**إلى أي مدى تعتبر نفسك متديّناً**»؟ مثلاً، بيّن استطلاع أجري في مدينة مشهد الإيرانية هذا العام على الطالبات حول هذا الموضوع، أنّ ٣,٣ في المائة منهنّ قلن بأنّهنّ لسن متديّنات بالمرّة، ولا يعني ذلك بالضرورة إنكارهنّ لوجود الله، بل ربّما ظننّ أنّ من لا يصلّي ليس بمسلم، ولهذا كان جوابهنّ بالنفي، و٧٧ في المائة منهنّ أجبن بأنّهن يصلّين غالباً أو دائماً. كما أظهرت دراسة أخرى أجراها أحد الباحثين قبل سنوات أنّ ٧٧ إلى ٨٠ في المائة لا تفوتهم دائماً أو غالباً فريضتي الظهر والعصر. لكن في العادة تكون التوقّعات أعلى؛ لأنّنا نريد أن يواظب الصبيان ممّن بلغوا سنّ الخامسة عشرة أو السادسة عشرة على إقامة الصلاة أي بعد مضي سنة أو سنتين من بلوغهم سنّ التكليف، وكذلك الفتيات اللاتي يبلغن سنّ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، وأن يحافظوا على الطقوس المهمة بنسبة مائة في المائة، لكن مع ذلك فأمثلة الواقع تشير إلى أنّه ما من طقوس تؤدّى بنسبة كاملة.

هنالك دراسة أجريتها تحت عنوان «**الأفكار الاجتماعية في أحاديث الأمر بالمعروف**» عثرت خلالها على روايات استلهمت منها الفكرة الاجتماعية القائلة بأنّ الانصهار الاجتماعي يجب أن يكون هدفاً في حدوده الدنيا. على سبيل المثال، إذا أردنا أن نطبّق مسألة الأمر بالمعروف، فلا نتوقّع أن يحقّق الجميع أعلى درجات الامتثال، نعم، قد يعتبر القيام بالواجبات وترك المحرمات في مجال التربية الدينية ضمن مستويات الحدود الدنيا المنّوه إليها آنفاً، ولكن مع ذلك لم تكن الاستجابة يوماً عند مستوى ١٠٠ في المائة في أية حالة. الروايات تصنّف الإيمان إلى مراتب ودرجات، وكلٌّ حسب درجة إيمانه، بمعنى أنّ الاستجابة عند هؤلاء ليست بالدرجة نفسها، ولكن من الضروري أن يصنّف كلّ فرد مع أقرانه.

وقد أظهرت دراستان أخريتان أجريتا في معهدنا بمشهد وكنت المشرف عليهما، أنّ ٥٧ في المائة من طلبة المراحل الثانوية يستمعون إلى الأشرطة غير المجازة. حسناً، إذا كان معيار التديّن الذي نضعه هو أداء الصلاة، فإنّ ٧٨ في المائة من هؤلاء هم من المصلّين، لكن إذا لم يدرك فتى في السادسة عشرة من عمره صلاة الظهر في إحدى المرات، فلا يعني هذا أنّه إنسان مستخف بصلاته؛ وذلك لأنّه في العادة يؤدّيها في وقتها، وقد صنّف نفسه على هذا الأساس، لكن احتمال نسيانه وارد لذلك يقوم بقضائها. بعبارة أخرى، إن ٧٧ في المائة هم متديّنون، أمّا إذا جعلنا معيار التديّن هو الإيمان بالله فسترتفع النسبة بالتأكيد إلى مستويات أعلى من ذلك.

في ما يتعلّق بالصوم، وبسبب الحالة الطقسية الخاصة التي يشكّلها، والأجواء الاجتماعية التي تحف به، فإنّ النسبة ترتفع أكثر. ففي مدينة مشهد حيث تعطّل جميع الدوائر الرسمية والمحال التجارية عند حلول موعد الإفطار وتستريح الشوارع من مظاهر الزحام، يضطرّ المرء في أجواء كهذه أن يصوم، وإلا فإنّه سيبقى أسير هذه الحالة.

وعودة إلى السؤال الأصلي: إلى أي مدى تعتبر نفسك متديّناً؟ إنّ الفرد الذي يحمل رؤية دينية محددة يمكنه الإجابة عن هذا السؤال، أو أنّ ٦٠ أو ٧٠ في المائة يعتبرون أنفسهم متديّنين، في حين يستمع ٥٢ في المائة إلى الأشرطة غير المجازة.

أما بالنسبة للملابس، فإنّ حوالي ٧٠ في المائة منها تواكب الموضة السائدة، وتحوي صوراً أو عبارات أجنبية. كما كان لنا دراسة ميدانية حول النزوع إلى التقليعة الهيبّية قبل خمس سنوات وهذه السنة أيضاً، فتبيّن أنّ ٧٥ في المائة من الذين يقلّدون الملابس الهيبية إنّما يفعلون ذلك حبّاً في الظهور وجذب الانتباه، وحوالي ١٨في المائة فقط يؤمنون حقّاً بتلك النزعات.

دراسة أخرى تكفّلت بنفقاتها مديرية الإرشاد في محافظة خراسان الإيرانية، وكان السؤال الموجّه للأفراد من هو فنانك المفضّل ومثلك الأعلى، فحصل كل من محمد أصفهاني وهو من الملحنين الذين يلحنون ضمن ضوابط الشرع والقانون الإيراني، ومطرب إيراني آخر يقيم في الخارج لا يحضرني اسمه على أعلى نسبة وهي ٦ في المائة، بينما حصل المطربون الأجانب على أقل نسبة. أمّا عن سبب الاستماع أصلاً، فكلّ ذكر أسبابه الخاصة به، بعضهم عزا استماعه إلى تذوقه لمعاني الأشعار، والبعض الآخر إلى اللحن، وكثيرون قالوا لا يوجد سبب خاص.

أعتقد أنّه بات من الضروري هنا تحديد معيار التديّن الذي نقصده، عندئذ سنحصل على تعاريف مختلفة، والأشخاص المختلفون الذين شملتهم الدراسة أتت أجوبتهم متباينة أيضاً بسبب تباين قراءاتهم لمعنى التديّن، وبتكرار الدراسات في فترات زمنية معينة واختلاف الأمكنة، سوف لن يطرأ أي تغيّر ملحوظ على النسب المذكورة؛ لذا، يجب أن لا يساورنا أدنى شكّ بأنّ هذه حقيقة اجتماعية تعبّر عن نفسها بهذه الصورة.

من هذا المنطلق إذا أردنا الإجابة عن طبيعة أوضاع التديّن لدى الشباب، يجب أن يكون ذلك في ضوء التصنيف الذي ذكرنا، عندها ستتراوح نسبة الذين يرون أنفسهم متدينين ضمن الحدود الدنيا للتديّن أي الإيمان بالله باعتباره خالق الكون و...إلخ حوالي٩٥ – ٩٧ في المائة.

وإذا أخذ الالتزام شكلاً متكرراً وعملياً عند الفرد، فسيكون الحديث عن الصلاة والصوم، وستنخفض النسبة عندئذ إلى ٧٥ – ٨٠ في المئة، وهي نفس نسبتهم في التجربة الدينية.

أو أن نجعل معيار التديّن مثلاً طبيعة العلاقة بين الجنسين، فالأمر هنا سيختلف بطبيعة الحال، وسنتبيّن ذلك أكثر عند زيارتنا لإحدى الكليات وسنرى كيف يتبادل الجنسان التحيات والأحاديث الودّية والنقاشات بينهم وكذلك اللوازم والكراريس، ويتزاورون ويتهاتفون مع بعضهم كالأخوة، وهي تصرفات تنظر لها ثقافتنا التقليدية بعين الشك والريبة، ومن الزاوية النظرية والدينية أيضاً تشوبها بعض المعاصي.

ذات مرة جاء أحد الأساتذة إلى مدينة مشهد في مهمّة إلى دائرة الأوقاف الكائنة بجوار ملعب «تختي»[1]، وصادف ذلك اليوم إقامة إحدى المباريات الرياضية. يصف هذا الأستاذ مشاهداته للشباب وهم يخرجون من الملعب وكان ذلك في العام ١٩٩٢، فيقول لقد راقبتهم لمدة تزيد على العشرين دقيقة فكانت مظاهرهم من الرأس إلى أخمص القدمين تنطق بالمعاصي والآثام. حسناً، هذا معيار آخر للتديّن يعنى بشكل اللباس، وطريقة تسريحة الشعر، أو طريقة تعاملهم مع كبار السنّ، وكلها شواخص إذا أمكن تقييمها وترجمتها إلى درجات، فستكون النتيجة التي يحصلون عليها حتماً هي الصفر.

وهناك دراسة أخرى أجريت قبل عدّة سنوات أظهرت أنّ مستوى الالتزام بالدين والأخلاق هي بحدود نفس النسبة السابقة أي ما بين ٧٠ و٨٠ في المائة، وطبعاً بعض الأسباب تعود إلى أنّ مسيرة الانصهار الاجتماعي في المجتمع الإيراني ستصل إلى حدّ الكمال في السنوات المقبلة، بما فيها دراستنا لمسألة التديّن أو التربية في الأسرة...إلخ.

في بعض المجتمعات عندما يبلغ الفتى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة سنة يصبح بالغاً، ويترتّب على هذا البلوغ الالتزام بالقوانين والقواعد التي تسري على المجتمع وإلا سيتعرّض للعقوبة.

باعتقادي، إن مجتمعنا، على غرار المجتمعات الغربية، اعتبر الحد الفاصل للانصهار الاجتماعي هو بلوغ سنّ الـ٢٣ أو ٢٤ وذلك بسبب طول فترة الطفولة؛ لذا علينا الاحتياط والحذر عند توجيه هذه الأسئلة إلى الطلبة.

آخر التحقيقات المحلية على هذا الصعيد تحقيق للسيد عبد العلي رضائي تحت عنوان «الدوافع والقيم والرؤى» على شكل كراسات صغيرة، وورد كذلك في كتاب «فوائد النتاجات الثقافية» للدكتور رجب زاده، وكذلك تحقيق بعنوان «الوعي والقيم والرؤى» للدكتور منوجهر محسني. قد يتبادر إلى الذهن عند مطالعة هذه التحقيقات أنّ مستوى التديّن بشكل عام قد انخفض، وهناك فئة تقول: إنّ التديّن عند أسلافنا كان أقوى، لكنّي شخصياً لا أميل إلى هذا الرأي، طبعاً لا أريد الزعم أنّ أفراد هذا العصر أكثر تديّناً، لكنّي أحكم من خلال الحكايات التي أسمعها من بعض المسنّين وكذلك بعض السير المنشورة والتي لا تشير إطلاقاً إلى أنّهم كانوا أكثر تديّناً. فهم لم يكونوا جميعاً من المصلّين، بما أنّ معيارنا الوحيد هو صلاة الفرد، وأنّ عبارات من قبيل عادة أصلّي أو أحياناً أصلّي...إلخ لا نستسيغها أبداً، وكذلك الجيل السابق لم يكن يستسيغها في وقته؛ لذا قام بتصنيف الأفراد إلى تارك الصلاة ومتهاون في الصلاة وغير ذلك، باختصار كان يرى في ترك الصلاة شيئاً سيئاً، لكن هذا لا يعني أنّ جميع الشباب في ذلك الزمن كانوا من المصلّين. كانت هناك نسبة معينة من الشباب يرتكبون معاصٍ من قبيل شرب الخمر، وكانت هذه الظاهرة من الشدّة بحيث كان الخطباء يذكرون هذه المسألة على المنابر باستمرار وهي أنّ من يشرب الخمر يسكر ومن ثمّ يخلد إلى النوم، فيصبح حسب اصطلاحهم زوج الشيطان، وعليه عندما يصبح ويعود إلى رشده عليه أن يغتسل غسل الجنابة، ويبدو أنّ في ذلك الوقت كان الجميع يعتقد بأنّ عرق الجُنُب نجس؛ لذا كان شارب الخمر عند الصباح يذهب إلى جدول المحلة التي يسكن فيها ليغتسل ويتطهّر. هذه القصص قد سمعتها مرات كثيرة من أشخاص كانوا يقطنون في مختلف محلات مدينة مشهد، حيث نستنتج من ذلك أنّ هذا العمل كان شائعاً لدرجة أن الخطباء كانوا يلجأون إلى استنفار حميّة شاربي الخمر، أو في الحقيقة، توجيه التقريع والإهانة لهم عن هذا الطريق لكي يقلعوا عن هذا العمل، ولكثرة ما

كانوا يردّدون هذه المسألة بجدّية حتى خُيّل للبعض فعلاً أنّ شرب الخمر يوجب غسل الجنابة، وإلا ما حاجة شاربي الخمر إلى الغسل، وربما كان بعضهم من المتردّدين على المسجد والمساهمين في مجالس العزاء الحسينية، لو كان معيار التديّن الحضور الدائم في المسجد، لكانوا متديّنين وفق هذا المعيار، أو كانت إقامة الصلاة أو الوضوء معياراً لكانوا متديّنين أيضاً، أمّا إذا كان شرب الخمر معياراً لعدم التديّن، نعم، هؤلاء غير متديّنين. وعلى أي حال للوصول إلى نتائج دقيقة علينا أن نحدّد ذلك. إذن، النقطة الأولى هي تحديد معايير وضوابط التديّن.

النقطة الثانية، هي: يجب أن نبيّن طبيعة الأهداف التي نسعى إليها من وراء نشر التربية الدينية في مجتمعنا. جزء من الموضوع هو انتقائي يتصّل بأفكارنا وقراءاتنا، والجزء الآخر هو ضرورة أن نتحلّى بالواقعية وأن لا نضمّن أهدافنا أفكاراً مستحيلة، على سبيل المثال، إذا كانت الدراسات والبحوث النظرية المعتبرة تشير إلى استحالة تبنّي المجتمع لرؤية موحدة بنسبة مائة في المائة، في هذه الحالة يجب أن نبعد هذه الفكرة عن قائمة أهدافنا؛ لأنّ التجارب العملية والتاريخية تخبرنا بعدم إمكانية حدوث مثل هذا الأمر، فأي فائدة في اعتماد أهداف لا يمكن تحقيقها؟ هذا ليس منطقياً.

من هنا، يجب أن نتعرّف أولاً على قراءة وزارة التربية والتعليم بالنسبة لمفهوم التربية الدينية، وماذا تحقّق من هذه القراءة لحد الآن، وهل كان الهدف الموضوع منطقياً؟

ملاحظة أخرى وهي هل بإمكان وزارة التربية والتعليم حقّاً أن تضطلع بمسؤولية التربية الدينية؟ في مقالة قدّمتها إلى مؤتمر وزارة العلوم بعنوان «الثقافة والمجتمع والجامعة» أشرت فيها إلى أنّ علماء الاجتماع قد صنّفوا الانصهار الاجتماعي إلى صنفين ابتدائي وثانوي. ويختلف تعريف الانصهار الاجتماعي عن بعض تعريفات التربية؛ وذلك لأنّ تعريف بعض العلماء التربويين يقترب من المفهوم السوسيولوجي للانصهار الاجتماعي، مثل الإصغاء، انتقال الثقافة...إلخ، في حين يطرح آخرون مقولات مثل توظيف المواهب ومقولات أخرى تتباين مع مفهوم الانصهار الاجتماعي بعض الشيء. هنا، أريد أن أعبّر عن رأيي بلغة سوسيولوجية فأقول: للانصهار الاجتماعي الابتدائي ضوابط أولها، أنّ الرسالة المستلمة تدوم لآخر العمر، وأنّ أحد سماتها أنّك ما لم تؤمن بحامل الرسالة لن تستطيع استلام رسالته، والسمة الأخرى هي أنّه لو تغيّر رأيك في

حامل الرسالة في ما بعد فسوف تترك رسالته، وهناك حالات انفصلت فيها الرسالة عن مصادرها وأصبحت مستقلة.

في الجانب الآخر، هناك الانصهار الاجتماعي الثانوي الذي يزوّد الفرد بالتخصّص، ويستطيع الفرد التمسّك بالرسالة مع رفضه لمصدرها. والأغرب من ذلك أننا نستطيع في الانصهار الاجتماعي الثانوي استرجاع الرسالة أو حفظها في الذاكرة، في حين أن الرسالة المستلمة في الانصهار الاجتماعي الابتدائي غير قابلة للحفظ. على سبيل المثال، إذا كنتُ في الانصهار الاجتماعي الابتدائي قد آمنت بالله، فلا يمكنني القول: «إني أنسى هذا الإيمان حين ممارستي للتجارة»، بينما أستطيع أن أدرس السوسيولوجيا والفلسفة والرياضيات، ولكن حين تركي للصفّ سأكون في تصرفاتي وكلامي وطريقة مشيي كأي إنسان عادي آخر. وهذا ما يحصل بالفعل، مثلاً نرى أستاذاً مشهوراً في علم الأحياء، لكنّه كالآخرين يحيا حياة عادية في مأكله وملبسه، وهذه كلها تدخل ضمن الانصهار الاجتماعي الثانوي المذكور. مثال آخر، أحد أساتذة علم الفلك يقول لولده: «إنهض، قد طلعت الشمس». في حين هذه الكلمة لا تصدر عنه قطّ في الصفّ؛ لأنّ الأرض هناك تدور باستمرار لتواجه الشمس.

الملاحظة الثالثة التي أودّ ذكرها هنا هي: ربما من يريد التخلي عن انصهاره الاجتماعي الابتدائي في الكِبر، ليبحث لنفسه عن انصهار اجتماعي ابتدائي جديد والذي يسمى اصطلاحاً «الاستحالة الثقافية»، وهذه حالات نادرة، قد تكون حالة واحدة لكل مائة ألف حالة.

في أحد المؤتمرات التي عقدت لمناقشة التحديات الثقافية في الجامعة، نشرت لي مقالة بالاشتراك مع رئيس إحدى الجامعات، والتي يبدو أنها كانت جيدة، في تلك المقالة استندت إلى هذه النقطة واستعرضت بعض الأمثلة، ذكرت أنّنا يومياً ننجز بعض الأعمال المتخصصة، فما هو موقع القسم الثقافي في منظومتنا، أين هذا من التعليم؟ كم أستاذاً رصدنا لهذه المهمة؟ لا وجود لكل ذلك، لدينا عدد من الموظفين ومبلغ من المال، وصحيفة وبرامج مساعدة، باختصار غير شاملة وغير ملزمة، كيف يمكن ذلك؟ هذا العمل له أساتذته المختصّون.

حالياً، نجد الأساتذة في جميع جامعات إيران ومن مختلف الآراء والفروع عندما يحضرون إلى الصف يتركون كل هذا وراءهم، فهم يفتقدون إلى الموقف الثقافي في الصف، وكأنهم اتّفقوا على ذلك. بعبارة أوضح، أنا رجل دين وأحضر إلى الصف باللباس

الديني والعمامة، إذن أنا من وجهة نظر الجميع أتبنّى وجهة النظر الدينية، في حين أنّي لا أتفوّه ولا حتى بعبارة دينية واحدة، إلا في آخر البحث بصورة ضمنية ولغاية معينة، وذلك لئلا يقول الطلبة أنّني أخطأت المكان، فهنا محل إلقاء المحاضرات التخصصية.

أما البقية فذوي مشارب علمانية وليس لهم ممارسات دينية، كما ليس هنالك من أستاذ يعنّف الطالبة مثلاً أو يقوم بطردها من درسه بسبب إظهارها لشعرها، فيضطر الأستاذ إلى التغاضي عن الموضوع سواء أرضي بهذا الوضع أم لم يرض. وهو يفعل في هذه الجامعة ما يفعله زملاؤه في الجامعات الأخرى، فمحاضراته هذه لا تمنح أحداً ديناً ولا تسلبه إيّاه.

وبالنسبة لوزارة التربية والتعليم، فمهمّتها في ضوء الوصف الذي وضع لها «إنها مصدر التنظيم وتحديد المضامين والمتون الدراسية وإعداد المعلمين ووضع الهياكل»، هي تشخيص مدى استعداد الفرد للانصهار الاجتماعي الابتدائي والانصهار الاجتماعي الثانوي. مثلاً معرفة حدود إحاطته بعلم الفيزياء وإمكانية التحاقه بالجامعة يدخل ضمن الانصهار الاجتماعي الثانوي.

بشكل عام، يجب أن نستقصي مدى مسؤولية هذا الجهاز حيال الانصهار الاجتماعي الابتدائي حيث تعتبر التربية الدينية جزءاً منه. إنّ الهدف الرئيسي للمرحلة الدراسية الابتدائية هو تحقيق الانصهار الاجتماعي، الذي يشمل تعليم التلميذ الإملاء والقراءة والكتابة والأعداد والحساب على الأصابع، باختصار يجب عليه تعلّم هذه المهارات إذا كان يريد الانصهار في المجتمع.

وعندما ينتقل إلى المرحلة المتوسطة، تتقلص هذه الأشياء إلى النصف، وهذا النصف هو قليل من الرياضيات والنمو العقلي والاطلاع على بعض النتائج العملية في العلوم. أما في المرحلة الثانوية، تتحول النسبة إلى ٨٠ في المائة مقابل ٢٠ في المائة، وهذه لا تخصّ البعد الديني وحده، فالطالب في هذه المرحلة يتهيّأ لتعلّم قواعد المجتمع والنظام العام وأهمية الأسرة والتعرّف على طبيعة الحكومة ودراسة الأدب الفارسي وممارسة اللغة الفارسية فهذه جميعها من عناصر الانصهار الاجتماعي الابتدائية، ويصبح الطالب هنا مستعداً لإعطاء الدروس بشيء من الاحتراف.

من ناحية أخرى يجب أن لا ننسى أهمية الأسرة؛ وذلك أنه لأسباب ثقافية لم يتحوّل مجتمعنا بعد إلى نصف متديّن ونصف علماني، لكنّه كذلك إذا نظرنا له من بعض الزوايا

الثقافية، وهي حالة ازدواجية. لاحظوا، عندما يكون هنالك مجتمع وثقافة، توجد تبعاً لذلك عناصر تطرح على أنّها قيم وقواعد، وبعد حين تبدأ بصورة طبيعية عملية تقسيم الولاءات لهذه القيم والقواعد – إذا كانت العملية بمنأى عن الظروف الاستثنائية – ، وأحياناً يخرج المجتمع من هذه الحالة الطبيعية، فينحرف الخط البياني لهذا الطرف أو ذاك. في بعض الأوقات عندما نجري بعض الحسابات على المجتمع يظهر لنا خطان بيانيان طبيعيان؛ أي أنّ المجتمع بالنسبة لهذه الفكرة مقسّم إلى فريقين. هناك، على الأقل، خمس دراسات أجريت تشير إلى أنّ ثمّة حالة من الثنائية تعيشها الثقافة الإيرانية بالنسبة لمبادئ من قبيل الإيمان وتقبل الآخر والمداراة. بعبارة أخرى: إن القواعد تعيش حالة من الاستقطاب، على سبيل المثال، في استطلاع أجري عام ١٩٩٣ بالنسبة لنوع الحجاب(وليس التبرّج أو السفور) المفضّل التشادور أم الرداء الطويل؟ كانت النسبة ٥٠ في المائة لكل منهما، ولكن حسب آخر الدراسات الميدانية التي أجريت في مدينة مشهد الإيرانية أن النسبة تراجعت في أوساط الطالبات بالنسبة للبس التشادور إلى ٢٤ في المائة والرداء الطويل إلى ٦٢ في المائة، وحالياً لم يعد تصنيف المرأة التي ترتدي الرداء الطويل والتي لا تتزيّنّ ضمن السافرات، ربّما لأنّها تريد أن تقول للبقية إذا كنتن لا تردن لبس التشادور فعلى الأقل ارتدين هذا النوع من الرداء، أي أصبح لهذا النوع من الحجاب مكانة لائقة ومحترمة.

بعد مرحلة الانفتاح على الغرب، أصبح واحد في الألف من الناس متغرّبين، وثلاثة في الألف مناوئين لهذا التيار، أما البقية ففي وادٍ آخر. واستمرّ الحال على هذا المنوال، أما اليوم، إذا أردنا مقارنة الأوضاع الثقافية للناس نجدها متباينة في كل شيء، في العادات والتقاليد، والخير والشر، والجمال.

عام ١٩٨٨عندما كنت أدرّس مادة علم الاجتماع في مؤسسة باقر العلوم التابعة لمكتب الإعلام الإسلامي، كان هناك بحث حول علم الجمال؛ حيث ضربت مثلاً من أدبنا فقلت: في الماضي كان التغزّل بجمال سواد الشعر والعيون شائعاً في أدبنا، لكن الأمر تغيّر في العصر الحاضر، فالأشقر هو اللون المفضّل للشعر اليوم، كما درج بعض الناس على وضع عدسات زرقاء على عيونهم، في هذه الأثناء صاح اثنان من الحاضرين إنه فعلاً لون جميل، فقلت حسناً، أنا أيضاً أميل لهذا الرأي، فمعايير الجمال قد تغيّرت. ترون في الوقت الحاضر كم من الأموال تنفق على صبغ الشعر، وكلما قلنا: إنّه مضر، قالوا: إنه موضة رائجة. هناك قيم وقواعد لها خطان بيانيان، مثل الغذاء واللباس والترفيه والمسكن والحب

وفي أشياء أخرى كثيرة. إحدى الانتقادات التي أكرّرها دائماً أينما ذهبت هي أنّ الإشكالية التي يعاني منها التخطيط في مراكز صنع القرار الثقافي مثل وزارة الإرشاد والتلفزيون...إلخ هي أنّ هذه المراكز التي هي عبارة عن دائرة مسؤولياتنا تتعرّض للتجاهل. إنّ فرضية أنّنا نعيش في مجتمع أحادي الثقافة فرضية خاطئة، فنحن نحيا في مجتمع ثنائي الثقافة، كأي مجتمع مزدوج الإثنية من الناحية الاجتماعية، مثلاً في محافظة **أذربيجان** الغربية هناك قوميتان كردية وتركية، وفي مدينة **نقدة** هناك قوميتان؛ لذلك، عند التخطيط لأي مشروع يتعلق بالسياسة الثقافية لا يمكننا القول: إنهم جميعاً إيرانيون، نعم الفريقان إيرانيان، لكن يجب أن نعلم أنّ هاتين الطائفتين الترك واللر بغض النظر عن إيرانيتهما، هما تركيبتان مختلفتان، وكل منهما يحمل هوية مزدوجة؛ لذا، يجب أن يكون التحدّث والتنظير وما إلى ذلك متناغماً تماماً مع هذا المحيط، وإلا فلن يكون لهما أيّ تأثير. غالباً ما نظرنا إلى هذه الشريحة المجدّدة كأقلية منحرفة؛ لذلك علينا أن لا نتوقّع خيراً من المسيرة الثقافية.

❑ **في ضوء الإشكالية التي ذكرتموها، ما هو تقييمكم للبرامج التربوية والثقافية؟**

**الشيخ أورعي:** نعم، لنفرض أنّنا وضعنا يدنا على نقطة ضعفنا الرئيسية وهي عدم مراعاة الثنائية الثقافية في التخطيط، سنواجه نقطة أخرى، ألا وهي تجاهلنا التامّ لمضمون الرسالة وإطارها وخصوصيات حاملها وخصوصيات المخاطب. قبل الثورة كانت لنا تجربة وهي أنّ التربية الدينية كانت تتشكل في البيئات الصغيرة، وكما نعلم تكون الروابط في هذه البيئات وجهاً لوجه وتعتمد بشكل رئيسي على حامل الرسالة. الخطأ الأول الذي قمنا به هو المغالاة في تقدير حجم التأثير لوسائل الإعلام (لكوني انضممت منذ سنّ المراهقة إلى صفوف الثوار في إيران وعايشت أوضاعهم عن قرب)، مثلاً عندما كنّا نخطب في التلفزيون كنّا نعتقد أنّه لو كانت هذه الخطب تؤثّر في ١٠ أو ٢٠ شخصاً في السابق، فإنّها اليوم تؤثّر في مشاعر ملايين من البشر وبنفس المقدار، وقد سبّب ذلك الأمر اختلالاً في نشاطنا؛ بحيث فقدنا استعدادنا للعمل في البيئات والجماعات المحدودة. سابقاً، كنت أدفع توماناً واحداً من الثلاثين توماناً التي كنت أتقاضاها شهرياً أجرة مواصلات لكي اجتمع بأحدهم لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات، وكنت مسروراً لأنّي أخدم مسيرة التربية الدينية. لكن المغالاة في أداء هذا الدور الإعلامي أفرز حالة جديدة وهي أنّ الذين كان لهم سجل بارع في هذا المجال عندما كان يُطلب منهم مثلاً إحياء عشرة ليالي في المسجد كانوا

يستثقلون المهمة عند معرفتهم بأنّ عدد الحضور قليل؛ لأنّهم كانوا يرون في ذلك مضيعة للوقت. الكثير من هؤلاء الخطباء الذين كانت لهم برامج خطابية في المساجد طيلة أيام السنة في عام ١٩٨٠، أصبحوا يقلّلون من هذه البرامج حتى أني أحصيت برامجهم فوجدتها لا تتجاوز ستة جلسات خطابة في العام؛ لأنّهم باتوا يرون شأنهم أرفع من أن يخطبوا في مساجد يقلّ عدد الحاضرين فيها عن ٥٠٠ نفر، ما اضطرّ القائمين على هذه المساجد إلى اتخاذ بعض التدابير لضمان إقامة هذه المجالس الستة وإلاّ فحتى هذه لم تكن لتعقد، ومن هذه التدابير استضافة ٣٠ شخصية سياسية أو دينية خلال ليالي شهر رمضان، وكان أكثر الناس يحضرون ليطّلعوا عن كثب عمّا سيقال في تلك الليلة على لسان ذلك المسؤول الذي كان يكرّس تلك الليلة للحديث عن مواقفه السياسية، أي لم تكن الجلسة دينية، وفي هذا الأمر تضييع للهدف الأصلي.

هذه الخطب تختلف عن خطب الأعوام الماضية، كان المسؤولون في تلك الأيام يجعلون محور حديثهم الآيات القرآنية والأحاديث ونهج البلاغة مع الشرح والتفسير، ومن ثمّ تتمّ الاستفادة منها لشرح الأوضاع السائدة آنذاك، أما الآن، فيتمّ توظيف كل شيء حتى ولو آية واحدة لخدمة الأوضاع الحالية وعمّا فعلته الولايات المتحدة وما فعله بني صدر. ولديّ في هذا الصدد مؤشرات أكثر وضوحاً، حيث تحتوي المكتبات من كتب الأسئلة والأجوبة الدينية أو ما شابهها حوالي ٣٠ كتاباً لمؤلفين من أمثال: آية الله ناصر مكارم الشيرازي، جعفر السبحاني، السيد الأبطحي، السيد هاشمي نجاد...إلخ، الملفت أنّه بعد الثورة لم يقم هؤلاء ولا ناشريهم بإعادة طبع كتبهم، وهذا يحمل في طياته معنى خاصاً وهو أنّهم يعتقدون أنّ الظروف قد تغيرت ولم تعد تلك الكتب تستهوي أحداً، وإلاّ فلماذا لم تجدّد طبعاتها؟ هل يعود السبب إلى أفول شهرة المؤلف؟ نعلم أنّ الأمر ليس كذلك فقد زادت شهرتهم عمّا كانت عليه في السابق، إذن ما هو السبب؟ ربّما هناك تفسير واحد لا أكثر وهو أنّ هؤلاء المؤلفين والناشرين توصّلوا إلى أنّ زمن هذا النوع من الكتب قد ولّى، ولكن كيف توصّلوا إلى هذه النتيجة؟ أعتقد أنّهم يرون أنه إذا كان الناس قد خرجوا إلى الشوارع للتظاهر، ودافعوا بضراوة عن ثورتهم، ووثقوا بقائدهم باعتباره مرجعاً دينياً يرفع شعار الإسلام، إذاً فجميع هؤلاء المتظاهرين يعرفون الإسلام ويؤمنون به، وهم مستعدّون لتطبيقه والذود عنه. أنا نفسي قد تأثّرت بتلك الأجواء، قبل الثورة كنت أطرح المباحث الكلامية، حتى أثرت حفيظة بعض الأساتذة في مشهد أحياناً قائلين لي: إنك قلّما تهتم بالدروس، فكنت أجيبهم مهمّتنا توعية الناس دينياً، ومهمّتكم تدوين الرسائل العملية

ليقوم الناس بتطبيقها، وغير المتديّن لا حاجة به إلى الرسالة، فبيان الأحكام هي للمتديّن؛ لأنّ بيان الأحكام ليس سبيلاً لتديّن الإنسان. أثناء مراجعتي للملاحظات التي سجّلتها في كرّاس صغير والتي تحتوي على العناوين الرئيسية لخطبي، وجدت أنّ خطبي للأعوام ٨٠، ٨١، ٨٢ يغلب عليها الاهتمام بالأخلاقيات، ولم تكن هناك ردود عن أي شبهة كلامية؛ أي لم تعد هناك شبهات، وكان يجب العمل للارتقاء بتديّن الناس، هذا كله يعني أنّ وجهة ديننا وحتى دعوتنا قد تغيّرت. وحينما عاد المجتمع إلى وضعه القديم قلنا: إنه فقد تديّنه لمجرّد أن سأل أحدهم عن أركان الصلاة لم هي على هذا النحو؟ متناسين أن هذا السؤال مطروح على مرّ التاريخ. وقد طبعت عشرات الكتب في هذا الحقل تبيّن أنّنا في مرحلة تاريخية توهمّنا بأنّه لم يعد لأحد استفسار أو إبهام في هذا الموضوع، وبقي فقط أن نناقش مسألة الخشوع في الصلاة ليصبح كل شيء على ما يرام.

إذاً، فالسؤال المطروح هو ملحّ ويبحث عن إجابة، وهو لا يؤشّر إلى هبوط في الحالة الدينية. أولئك الذين كانوا يجيبون عن هذه الأسئلة ينصبّ اهتمامهم الآن على مجالات أخرى، أمّا الدورات والخطب التي كانوا يلقونها فكانت ذات فائدتين، على سبيل المثال، عندما كان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي يلقي محاضراته في حسينية بني فاطمة، كان الحضور أفراداً عاديين، وكان يجيب عن الأسئلة المطروحة فيظنّ أنّه قد احتوى كل الشبهات المثارة، وبصورة عامة كان الحاضرون يعتقدون أنّ لدى الشيخ الجواب الشافي عن كل الشبهات، وكان البعض يضع هذه الأجوبة في قالب استدلالي لينقلوها إلى عدد آخر من الناس. وعندما انقطعت سلسلة المحاضرات نهائياً حُرمت ثلاث شرائح من الاستفادة منها، الآن لا يوجد بين طلبة العلوم الدينية من الشباب ممّن يحمل شهادة متوسطة قادر على الردّ على الشبهات. أعتقد أنّ عملية هيكلة الشريحة الدينية بعد الثورة شهدت تحوّلاً أدّى إلى تجميد جانب من التعليم الديني، بالإضافة إلى تجميد الجانب الكلامي والردّ على الشبهات، وبموازاة ذلك توقّفت عملية إعداد الكوادر في هذا المجال، طبعاً مع بعض التغيير في الوقت الحاضر.

❐ **هل لكم بهذه المناسبة الحديث عن بعض المدارس التي كان يديرها رجال الدين قبل الثورة؟**

**الشيخ أورعي:** من الأمثلة على ذلك مؤسسة «في طريق الحق» التي انخفضت معدّلات إصداراتها بمقدار كبير، والشيخ مصباح اليزدي كانت له نشاطات هناك، إلا أنّه غادرها إلى

مؤسسة أخرى أسّسها بنفسه، أشياء كثيرة تغيّرت هناك. طبعاً هو ونفر قليل غيره أدركوا هذا الأمر أكثر من غيرهم. بعد فترة، تأسّست مجلة (كيان) وزادت الشبهات في هذا المجال، وأصبحت حديث الصحف في ذلك الوقت، وكانت الشبهات تملأ كل مكان، المدرسة والجامعة وأينما ذهبنا، وفجأة، يعتقد الجميع الآن بأنّ الناس قد فقدوا تديّنهم، في حين لو أردنا أن نقيّم الأفراد في الوقت الحاضر من المستبعد أن يحصل أحد على درجة أقل من ٥٥ من مائة.

لا بد من القول بأنّ الآمال قد تغيّرت، فاليوم لا نستطيع أن نقول لطالب العلوم الدينية مثلاً أن يزهد في عيشه بسبب وعود الرفاهية والعيش الرغيد التي أعطيت للمجتمع؛ لذا لم يعد لهذه الأقوال سوق رائجة، فالجميع يعترض وينتقد.

ومن جهة، كنّا نردّد أنّ الحكومة والمجتمع والحوزة يربطهم رباط واحد، فالمعايير الحياتية التي نضعها تترك آثارها على الجميع. وأستطيع القول إن هناك على الأقل حوالي ٣٠٠ من طلبة العلوم الدينية في قم ممّن يتقنون موضوعات الكلام الجديد، وهو ما يظهر جلياً في الخطب والكتب والمجلات النقدية والمؤلفات حتى ولو مقالة واحدة، وكذلك مرشد الثورة أشار إلى وجود شريحة واسعة من رجال الدين العلماء في قم، ولدى مكتب الإعلام والمؤسسات المختلفة أرقام أدق في هذا المجال. قبل عامين أرسلت بعض المراكز في جامعة الفردوسي بعض الأكاديميين من رجال الدين بمناسبة شهر رمضان فكانوا ينزلون في المساكن الجامعية ويقيمون الصلاة لكنّهم كانوا يعانون من ضحالة في المعلومات، وقد طلبنا من ممثل الولي الفقيه في جامعة الفردوسي والمسؤول عن انتساب هؤلاء الطلبة إرسال أفراد ذوي خبرة قادرين على إثارة المباحث العميقة، وطرح آراء الآخرين في التجربة الدينية ونقدها. ويقيناً أنّه لو عرض هؤلاء أفكاراً جديدة لوجدوا من يصغي إليهم من الأكاديميين، ولنقلوا ذلك إلى زملائهم وذاع خبره في هذه الأوساط. لقد وافقوا على ذلك، واتّصلوا بمن استطاعوا الاتصال به، ولكن لم يسفر الأمر عن شيء، صحيح أنّ هؤلاء كانوا يمتلكون المؤهلات لكتابة المقالات وقد تنشر في واشنطن، لكن لم نجد عندهم النموذج الذي كنا نطمح إليه. بعبارة أخرى: إنهم جميعاً أصبحوا علماء. قبل الثورة، كان البعض يتخرّج من الحوزة الدينية كعالم في الفقه، لكنّه لا يملك مهارة مخاطبة الناس، في حين كان البعض الآخر يمتلك هذه المهارة، عالماً كان أم لم يكن.

❑ **باعتباركم عالم اجتماع ورجل دين محيط بالقضايا الدينية، في ضوء هذه العناصر الاجتماعية التي أشرتم إليها، ما هي توصياتكم للارتقاء بالجوانب التربوية المتعلقة بالشباب، ما هو رأيكم حول نقطة البداية والانطلاق؟**

**الشيخ أورعي**: أجد أنّ أهم الأولويات في الوقت الراهن هي التركيز على المناقشات الكلامية المعنية بالشبهات التي تؤرق الشباب وليس المفكر الفلاني. إن رسالة الحوزات(المؤسسات الدينية) هي نشر التديّن، وأول خطوة على هذا الطريق هي دفع الشبهات الدينية. حالياً جُمع الكثير من هذه الشبهات الدينية، حيث يبلغ عددها في الأقراص المرنة لدى مختلف المراكز في مدينة قم بين ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠، وقد قامت ممثلية الولي الفقيه بجمعها، وهي على كل حال أمر جيّد. على طبقة رجال الدين أن يبحثوا عن أقنية للتواصل مع الشباب واهتماماتهم، وأن يجيبوا عن استفساراتهم في أجواء مفعمة بالثقة والصداقة والاحترام، وأرى أنّه إذا تمّ ذلك بشكل مستقل عن النظام، فسوف تكون له آثار أكثر إيجابية؛ لأنّه إذا أرادت هذه الطبقة الدفاع عن الإنجازات السياسية، ستحتاج إلى إطلاع واسع، لأنّه من غير الممكن التعاطي مع القضايا السياسية من خلال المناقشة والاستدلال والرجوع إلى المصادر، هذا بالإضافة إلى حاجتنا إلى بيانات إحصائية مفصلة ودقيقة عن مختلف المفاصل. أضف إلى ذلك خبرة وافية في طرق نقد النظريات الاقتصادية. أرى ثمّة حاجة للفصل بين الدعوة الدينية والدعاية للنظام، ليس من منطلق عدم الإيمان بالدعاية السياسية أو ضرورة إبعادها من المعادلة، بل لأنّهما شيئان مختلفان تماماً. وعلى أيّ حال إنّ ديننا يحتوي كل قيم الخير فلنسع إلى توكيده، وأنّ انطلاق هؤلاء بالدعوة الدينية غير الحكومية هي حالة مختلفة، ليس بالضرورة أن يندّدوا بالحكومة، بل يتجنّبوا الخوض بما ليس لهم به علم يقين – قد يكون عمل الحكومة جيد أو قد يكون سيء– أمّا ما لهم به علم فيدلون بدلوهم بما يرونه مناسباً من نقد وترديد أو ثناء وتمجيد لهذا المرفق الحكومي أو ذاك، مع طرح الدلائل في الحالتين.

❑ **هذا في ما يتعلّق بتفاصيل عمل الحكومة، ماذا عن الإطار العام؟**

**الشيخ أورعي**: الكل هو مجموع الأجزاء، والانقلاب الذي طرأ على المعادلة من تأييد ساحق للحكومة في عام ١٩٧٩، إلى أغلبية متململة في الوقت الحاضر – بصرف النظر عن درجة وطبيعة التململ– مرجعه أنّ هذه الأغلبية تنظر إلى الحكومة من نافذة إنجازاتها، أي كما دأبت هي على طرح نفسها، عندما كانت تروّج أنّها ستفعل كذا وكذا، فهي لم تقل: إنّ

لها قدسية وأنّها باقية، جيداً كان أداؤها أم سيئاً، والشعب من ناحيته يقيّم أداءها. قد يكون ثمّة خطأ ما أو أنّ المعلومات قليلة، ربّما تكون حكومة صالحة لكن هناك تشويه متعمّد لصورتها، يمكن أن تكون لنا ملاحظات على المسمّيات.

المسألة الثانية تتمحور حول الإطار العام للمنظومة، فباعتقادي أنّه لا يوجد تخطيط سليم ومنطقي وعلمي في أيِّ مرفق من المرافق، وفشل النظام التعليمي الديني عندنا واضح للعيان، فعلى الحوزة أن تسعى – إضافة إلى الدروس الدينية– إلى تزويد طلبتها بدروس خاصة تمكنّهم من الوقوف نسبياً على مسيرة العلوم الحديثة.

**❐ ماهي اقتراحاتكم بالنسبة لكيفية انضمام رجال الدين إلى جهاز التربية والتعليم؟**

**الشيخ أورعي:** تعلمون أنّ جهاز التربية والتعليم يضمّ تربويين يسعون منذ سنوات إلى الانضمام إلى صفوف التعليميين، أمّا رجال الدين في سلك التعليم فهم جميعاً معلّمون في مادة التربية الدينية والقرآن واللغة العربية. أعتقد أنّه يجب إعادة النظر في مسألة السماح لرجال الدين ممن هم دون المستوى العلمي الديني المطلوب من الدخول في سلك التربية والتعليم؛ لأنّه لا يتوقع من وجودهم فائدة كبيرة. يحدث أحياناً أن يتبوأ بعض الدعاة الدينيين منصباً مرموقاً في الجهاز التعليمي الديني الرسمي، أمثال هؤلاء بإمكانهم طبعاً الالتحاق بوزارة التربية والتعليم. لذا، على الأشخاص الذين يودّون الانضمام إلى جهاز التربية والتعليم أن يكونوا ممّن تزكّيهم الحوزة الدينية علمياً، حتى لا يعدّ الفاشلين منهم ممثّلين لهذه المؤسسة الدينية، تماماً، كما لو نجعل من الطالب الراسب في فرع علم الاجتماع ممثلاً لفرعه، وهو بلا شك أمر مضحك. ومع الأسف الشيء نفسه يحصل مع درس التربية الدينية(٢)، الذي تعطى فيه للطالب درجة ١٩ أو ٢٠ حضر هذا الدرس أم لم يحضر؟ فأيّ اعتبار يبقى لهذه الدروس بعد ذلك؟

على هذا الأساس، إذا قامت الحوزة بإعداد أفراد يتحلّون بسعة الصدر وحسن المعاملة، وسلّمتهم مسؤولية أحد المساجد أو المدارس، فسيكونون أقدر في الدفاع عن الحكومة. من هنا، يتحتّم على الحوزة في إطار هذا المفهوم أن تحسن اختيار ممثليها في الجامعات.

المسألة الأخرى المهمة هي أنّه إذا كشفت وزارة التربية والتعليم عن أساليبها في ما يتعلق بالتربية الدينية، وصنفت الشروط والمتطلبات حسب الأولوية، عندذاك، سنتبيّن مدى تخلّف هذه المناهج الدينية عن هذه المعايير. على سبيل المثال، درس الجبر الفلسفي(٣).

في إحدى المحاضرات، اضطررت إلى توضيح شبهة معينة بشكل كامل، لكي أقرّب

الصورة إلى ذهن الطالب، وهو أمر فيه إشكال من الناحية الشرعية، وبخاصة إذا أدخلنا في اعتبارنا أنّ الحضور كانوا يعتقدون بأنّ فلسفة هذا الدرس، بل الدروس عموماً هي الحصول على الدرجات في الامتحان. ولو تأمّلنا قليلاً في المجتمع لوجدنا أنّ ثمّة جبر اجتماعي وليس فلسفياً. إذن، فليس هناك انسجام بين المناهج والمتطلبات، كما أن اجترار نفس المباحث بالنسبة للكتب الدينية هو إشكال آخر يضاف إلى ما سبقه.

هنالك نقطة أخرى وهي أنّنا قلّما استعنّا بالمؤثرات النفسية في كتبنا الدينية، من قبيل الإخراج الفني، حيث تشكو تلك الكتب من هذه الناحية، ما يجعلها لا تناسب مذاق الشباب. في الغرب صدر كتاب يتضمّن أسئلة الشاب المسيحي من الكنيسة، قام بتأليفه عدد من القساوسة متعدّدي الاختصاصات، وشمل مباحث من قبيل تعدد الزوجات، الطلاق ...إلخ، وقد تطرّقوا في أكثر من موضع لرأي الإسلام في الموضوعات بشكل يُظهر رجحان الرأي المسيحي، أفهل قمنا نحن المسلمون بنشاط مماثل؟

المسألة الأخرى هي الإذاعة والتلفزيون، أعتقد أن الجميع يوافقني الرأي بأنّ التلفزيون في العقد الأخير فتح الباب على مصراعيه لفئة الحداثيين والمتغربيين. وعندما تسألهم عن الدافع، يجيبون: إنّ التلفزيون وسيلة إعلام وطنية، وأمننا القومي يقتضي أن نُسمع الآخرين صوتنا، لذلك نحن نلبس لبوسهم حتى نوصل رسالتنا في الوقت المناسب، فهل نتوقّع من هذه القناة الإعلامية أن تقدّم برامج تربوية سليمة؟

خذ مثلاً إذاعة المعارف على موجة الـ FM التي تستعصي على الالتقاط في أغلب الأحيان. مبدئياً، فإنّ تخصيص إذاعة خاصة بالمعارف يومئ إلى أنّ الدين أصبح نخبوياً، أي أنّ المتديّنين أقلية، وهذه الإذاعة لا تبث أي نوع من أنواع الموسيقى، أنا مع الدراسات المتخصصة بشرط أن تكون منهجية ومبرمجة.

برأيي أنّ العقلية الحكومية تعاني من قصور، وليس أدلّ على ذلك من عجزها عن الاستفادة من العقول الموجودة، هنالك ١٠٥٠٠ عضو في الهيئات العلمية للجامعات، ٥٠٠ منهم لا يستشهدون في بحوثهم بأمثلة عن واقعنا المعاش، كل هذه الأموال التي تنفق وهذا التعليم من أجل ماذا؟ كيف تتمّ الاستفادة من شبكة المتخصصين المليونية؟ نريد وضع السياسات التي تخدم التربية الدينية، لكن في المقابل لا نفعل شيئاً لشحذ عقولنا ومفكرينا، ولا نرصد الأموال اللازمة لذلك. أفهل استطعنا الاستفادة من الحاسوب؟ هل استطاعت الحوزة الدينية توظيف طاقات طلبتها؟ يؤسفني القول: إننا نفتقد الإرادة السياسية

لتسخير قدراتنا في خدمة الدين بشكل صحيح للنهوض بمستوى التديّن في المجتمع. من جهة أخرى، من الضروري عدم الاستهانة بحجم الإخفاقات التي حصلت في هذا المجال؟ عندما يتمّ تسعير المحاضرات الدينية، أيّ قيمة تتبقى لها بعد ذلك، أي نوع من البحوث ستكون هذه؟ هذا كله يؤشّر إلى عدم وجود اهتمام جدّي بالقضية.

هناك إشكالية في الموضوع، فالمتحمسين للدين لا يملكون الإحاطة التامة بالوسائل الحديثة، والمحيطون بها تشغلهم ألف قضية وقضية، فضلاً عن أن نواياهم غير خالصة، حتى أضحى التديّن اليوم مسؤولية الأسر وحدها، وهي بدورها تندب همومها، في ظل هذه الأجواء، كيف يمكن لمعلم التربية الدينية أن يضطلع بمسؤولية نشر الدين دون وجود رغبة مخلصة تدفعه إلى هذا الطريق؟

باختصار أقول: ما لم تقوّم وزارة التربية والتعليم معلّميها، فلا نتوقّع حدوث معجزة في هذا المجال، قد يكون تغيير المناهج أمر سهل، لكن تغيير عقلية مليون معلّم أمر صعب مستصعب؟

## الهوامش

(١) أحد أبطال الرياضة في إيران وقد سمي الملعب باسمه (المحرر).

(٢) تسمى مادة التربية الدينية في النظام التعليمي الإيراني بمادة «المعارف الإسلامية» وهي مادة إلزامية ترافق الطالب حتى سنوات تخرجه من الجامعة. (المحرر).

(٣) وهو أحد دروس مقرر الفلسفة الإسلامية في مادة المعارف الإسلامية.